مفهوم النقد الأدبي القديم ومراحل تطوره عبر العصور

The concept of ancient literary criticism and its stages of development through the ages

معيفي عبد الحميد*

جامعة الطارف

مخبر التّراث والدّراسات اللّسانية

Hamidmaifi١٧@gmail.com

حشلافي لخضر

جامعة الجلفة

مخبر قضايا الأدب والثّقافة الشّعبية والتّرجمة

Hachelafi٢٠١٦@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/٠١/٠٢

تاريخ القبول:٢٠٢٣/٠٥/٣١ النشر ٢٠٢٤/٠١/٢٢

ملخص:

يظل نقدنا القديم بحرا شاسعا ننعم بمياهه العذبة وخيراته المتنوعة ،ولقد أتقن وأجاد السباحة نقاد مهرة ليصلوا إلى أعماقه ويتفننوا في اقتناء أغلى الدرر وأثمن الجواهر الكامنة والبعيدة عن النظر والتأملات السطحية ،ومن يغوص بالأعماق لابد أن يكون عميقا في تفكيره وفي أسلوب نقده وفي نظرته النقدية ،ولذلك حاولنا ولوج عالم النقد القديم من خلال مفهومه ومراحل تطوره ،وانطلقنا مع بعض الأسئلة ومنها: هل استطاع النقاد الأدباء أن يعرفوا النقد التعريف اللائق ،وهل كان من الممكن احتواء هذه العبارة احتواء تاما أم أنها لازالت تحتاج إلى تعاريف أكثر دقة وشمولية ،وهل تطور النقد القديم التطور الذي يفيد المتلقي ،وبين هذا وذاك وصلنا إلى مجموعة من النتائج منها. أولا: يظل النقد وليد عاملين " الصنعة والممارسة". ثانيا: مهمة الناقد تصل إلى تفسير حقيقة الجمال في حد ذاته. ثالثا: يعود تطور النقد الأدبي القديم إلى تقبله بموضوعية وإصداره بموضوعية.

الكلمات المفتاحية: نقد، عربي ، قديم ، مفهوم ، مراحل تطور.

Abstract

Our old criticism remained a vast sea, enjoying its fresh waters and its various bounties. Skilled critics have mastered and mastered swimming to reach its depths and excel in acquiring the most precious pearls and the most precious latent jewels that are far from sight and superficial contemplations. Therefore, we tried to enter the world of ancient criticism through its concept and stages of development, and we set out with some questions, including: Were literary critics able to define criticism with the proper definition, and was it possible to fully contain this phrase, or does it still require more accurate and comprehensive definitions, and did criticism develop? The old development that benefits the recipient, and between this and that we reached a set of results from them. First: Criticism remains the product of two factors, "craft and practice". Second: The task of the critic is to explain the reality of beauty in itself. Third: The development of ancient literary criticism is due to its objective acceptance and issuance of it objectively.

KeyWords: *criticism, Arabic, ancient, concept, stages of development.*

*المؤلف المرسل : معيفي عبد الحميد Hamidmaifi١٧@gmail.com

المقدمة:

يكتسي النقد أهمية بالغة في حياة الإنسان بصفة عامة، وبالأخص في المجال الأدبي ويعتبر النقد أمرا توجيهيا إرشاديا تقويميا، كما أنه يظل إيجابيا حتى في الحالات التي يرى فيها المنقود بأن النقد الموجه إليه سلبي؛ لأن النقد السلبي كثيرا ما يكون حافزا لانطلاق الشخص الذي وجه إليه النقد بانطلاقة جديدة وقوية.

كما أننا نشجع على النقد الوسطي، وهو الذي يوجه الناقد للمنقود كلاما لينا عذبا ومبرزا وطارحا العيوب وكاشفا إياها في أسلوب عذب وسلس، بحيث يتقبله الشخص المنقود بصدر رحب، ويجد فيه الدليل والحقيقة فيصلح أمره بحسب الحقيقة التي كشفها الناقد له.

وهذه الطريقة من النقد هي التي تثمر وتنتج عملا ناجحا وخاصة في المجال الأدبي، أو على مستوى المجال الشخصي. فإذا قلت مثلا: لشخص يجب عليك أن تحسّن من سلوكك اتجاه الآخرين وتسكت، فنقدك هنا يحتاج إلى تكملة، فهو يعتبر ناقصا، فقد يكون هو يرى بأن سلوكه قويم، ولهذا فأنت إذا بدأت في النقد عليك أن تكمل مع التوضيح والتبيين والإبراز قائلا: إن كلامك مع الآخرين يكون دائما جارحا، لذلك اختر كلماتك أو زنها قبل النطق بها فقل: كذا أو كذا، وبهذا يصبح النقد نقدا وتعليما في الوقت نفسه، وهذا هو الناقد الناجح الذي يصل بنقده إلى نتائج مرضية من طرف المنقود إذا عمل هذا الأخير بالنصائح كما قيلت له وطبقها أفضل تطبيق، فالنتائج عادة ما تكون قيمتها بمدى حسن الوصية والإرشاد قبل التطبيق الفعال.

I. النّقد الأدبي: المفهوم

إنّ كلمة النقد تظهر سهلة وبسيطة ولكن لا يمكن أن نحصر هذه الكلمة التي نراها واضحة وبسيطة بعدّة كلمات، ونقول: قد أعطيناها حقها، بل على العكس كلما حاولنا حصر وتحديد هذه اللفظة إلا ووجدناها زادت اتساعا وتطلبت منا إضافة كلاما آخر لكي تستطيع حصر معناها، لذلك فمعناها يأخذ في كل مرة شكلا ولونا جديدا، ولكن مادة هذه الأشكال والألوان هي واحدة، فمنهم من يرى أن النقد هو تقدير الأشياء أي وضع لكل شيء قيمة معينة أو نقول: هو التحديد.

كما أنّ البعض الآخر يعتبر النقد هو الكشف والإيضاح للإبراز والوضوح والتجلي، وأيضا يمثل كذلك التمييز بين الأشياء، وخاصة هناك أشياء متشابهة وقريبة جدا من بعضها، فهذه تطلب نقدا دقيقا حتى يتمكن الناقد من خلال هذه الدقة التمييز الحقيقي بين هذه الأشياء، والنقد في اصطلاح الفنيين **"هو تقدير القطعة الفنية ومعرفة قيمتها ودرجتها في الفن سواء كانت القطعة أدبا، أو تصويرا، أو حفرا، أو موسيقى"** (أمين، ١٩٦٧، صفحة ١٧).

ومن خلال هذا القول نجد الفنيين يعتبرون النقد قيمة تقديرية، أي هو تقدير القطعة الشعرية أو النثرية أو التصويرية أو الموسيقية، ونعني بالتقدير هنا الملاحظة والتأمل بعمق ثم إصدار الحكم وهذا الحكم التقديري على القطعة لا يعتبر نهائيا، وكأنها تمثل وجهة نظر صاحبها فقط، وبالفعل فهو خاص وموجه لشيء يعنيه كالقطعة الأدبية سواء أكانت شعرية أو نثرية أو كانت تنتمي إلى مجال التصوير الفوتوغرافي، أو التصوير بالألوان، فتوجه وجهة النظر (النقدية) إلى اللوحة الزيتية، أو إلى الصورة الفوتوغرافية فردية كانت أو جماعية أو كانت موجهة من ناحية أخرى إلى كيفية التحفيز، وهذا يتطلب موهبة كذلك وإتقان، أو كان موجه لقطعة موسيقية أو لحنا قصيرا من الموسيقى الهادئة أو الصاخبة، وطنية كانت أم رومنسية.

وبذلك تُقيّم هذه القطعات المنتمية للعديد من المجالات بحسب نظرة كل ناقد وكيفية تقييمه للجمال، وإن كان الجمال يتفاوت في التقييم إلا أن التقييمات من طرف النقاد لا تبتعد في المستوى عن بعضها البعض، وهذه الأحكام النقدية تؤول في آخر المطاف إلى الأذواق وهي تعتبر إحساسا فياضا، أو بالأحرى حاسة قد تكون قوية، وبذلك يكون الذوق عال، وقد تكون بسيطة ويكون الذوق سطحيا، وهو يعتبر "**حاسة معنوية يصدر عنها انبساط النفس أو انقباضها لدى النظر في أثر من آثار العاطفة والفكر، ويظهر أثرها في ميل كنا شيء موهوب إلى كل جميل من الأدب والفن ومحاولة تقليده** " (الزّيات، ١٩٦٧، صفحة ٥٥)، فالذوق ينتج مباشرة عن اصطدام النظر بالعواطف والأفكار وقد يكون الذوق مرتفعا عند الناظر بحسب قوة العواطف والأفكار لديه، فكلما كان هذا الأخير يمتلك عواطف جياشة قوية، وأفكار كبيرة، كان ذوقه بحسب حجم وقوة عواطفه وأفكاره، وبذلك نجد الإحساس يظهر ويتجلى، وهذا الإحساس (الذوق) قد يكون إيجابيا أو سلبيا وهذا الإيجاب أو السلب يكون متعلقا بالقطعة الفنية وهو الكفيل (الذوق) بإبراز إيجابيات أو سلبيات هذه الأخيرة (القطعة الفنية)، وتمييزها عن البعض، وقد يكون بينهما تشابه كبير، ولكن يحدث التمييز الذي يمثل النقد، وهو الأداة الفاصلة بين الرديء والجيد أو هو بعبارة أخرى التمايز بين الأشياء والتفاضل.

وهو الذي يقوم بتفضيل قطعة عن أخرى، وهذا هو النقد، وذلك كله يكون بالتقويم السليم والصحيح وخاصة إذا كان الناقد متمكنا متتبعا منهجية نقدية وهدفه يكون ساميا، أما النقد من أجل النقد فإنه لا يفيد لا الناقد ولا المنقود، ولا يزيد في القطعة، ولا ينقص منها، فهو يعتبر نقدا سطحيا "... **إذ لم تكن العرب تستقي بصحة طباعها وجودة أفكارها عن تسديد طباعها وتقويمها، باعتبار معاني الكلام بالقوانين المصححة لها وجعلها ذلك عملا تتدارسه في أنيتها**" (إبراهيم، ١٩٩٨، صفحة ٥٣)، ونجد العرب القدامى برغم أن لهم كلمتهم الفطرية الصحيحة، إلا أنهم ملزمون بتمرير أعمالهم على مرحلة النقد، لأنها مرحلة حياة أو موت بالنسبة للعمل الإبداعي، فتكون و تمثل

لصاحب العمل فرصة لمراجعة الذات التي أظهرت هذا العمل، وبعد ذلك مراجعة العمل في حدّ ذاته، فالمراجعة في هذه الحالة بين اتجاهين إما الإثبات أو النفي، فصاحب العمل يعمل بقول الناقد فإن كان قول الناقد كافيا لتغطية جوانب هذا العمل النقدي الموجه للعمل الإبداعي، فالمنقود يرسم الطريق الواضح من خلال وجهة نظر الناقد.

وهذا القول يبين أن النقد عبارة عن تسديد الطبع، وذلك بحث الطباع وإرشادها على التشبث بالقراءة الفاحصة للأدب الحقيقي الذي يقوم بتنوير هذه الطباع التي تطبعت عليه وكذلك تقويم هذه الطباع ليظهر النقد في أبهى تجلياته حيث يسدّد ويقوم في الوقت نفسه وذلك موجه للأعمال التي يسمح النقد في معانيها وسنّ القوانين التي يبنى وفقها النص الأدبي حتى يصبح عملا له وزنه ويستقطب الدّارسين والقرّاء، وذلك من اجل رفع مستواه كعمل أدبي للوصول إلى مرحلة الرقي الحقيقي، وذلك بفضل النقد الموجه إليه قبل وبعد خلقه، لأن النقد يبقى مع النص حتى بعد نضجه واكتماله، لأن " **مهمة الناقد هي تفسير الجمال، وإظهار طريقة الأديب في البحث عن الخير، أو نقد الحياة وما فيها من زيف أو ظلم أو شرّ**" (زايد، ١٩٨٥، صفحة ٤٢).

إذا فالنقد عمل من الناقد الذي من خلاله يحاول أن يدخل ضمن إطار كل ما هو جميل، أو يتصف بالجمال للكشف عن سرّه ويعد ذلك محاولة شرحه وتفسيره وكشفه للعيان لكي يتمتع المتلقي بهذا الجمال، ولا يبقى حسب محيطه الخاص، وبذلك يستفيد الكثير من هذا الجمال وتحدث المتعة الحقيقية بعدما كانت نائمة بين ثناياه، أو مفقودة نهائيا وكذلك النقد، يمثل الكشف عن طريقة الأديب، وهذا الكشف يتطلب عملا جادا مبنيا على قواعد ذوقية خاصة، والغاية من هذا الكشف هو إيجاد الخير وتعميمه ليصل إلى كل متعطش إليه للاستزادة، وإحداث الفائدة وتعميمها، وكذلك الكشف عن خبايا الحياة لإصلاح العيوب، وإكمال النقائص، والقضاء على الشرور ليعم الخير، لتملأ السعادة القلوب المتعطشة، ويشعر الكل بمتعة الحياة والتمتع بجمالها الفياض، وذلك بالقضاء على الظلم وتجلي الحق وسيادته.

كما يتجلى كذلك مفهوم النقد في " **تعيين مكانة الصنف الأدبي في خط سير الأدب وتجديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته، وفي العمل الأدبي كله، وقياس مدى تأثره بالمحيط وتأثيره فيه، وتصوير سمات صاحبة وخصائصه الشعورية والتعبيرية وكشف العوامل النفسية والخارجية التي اشتركت في تكوينه**" (قطب، ٢٠٠٣، صفحة ٢٧).

والنقد من خلال هذا القول يكتسي فعلا صبغة الشمول الحقيقي، وهي الصعبة التي تمسّ العمل الأدبي من جهة وصاحب العمل من جهة ثانية، وتأثير هذا العمل في المحيط الاجتماعي، ومدى تفاعل المجتمع مع هذا العمل بغض النظر عن الاستفادة والإفادة والتزود والاستزادة، وهذا يكون أولا بتمييز نوع العمل الأدبي وتصنيفه كجنس من

الأجناس الأدبية، ومعرفة العلاقة التي تربطه بعناصر المجتمع الذي أولف هذا الأخير من اجله، ومدى تأثيره وإبراز الخصائص التي شعر بها كاتب النص قبل وأثناء وبعد الكتابة بغية الكشف الحقيقي لجميع العوامل التي اجتمعت واتخذت وتوافقت وعملت على إيجاد هذا العمل وبالأخص منها الداخلية والخارجية لصاحب العمل.

ويظل النقد يعمل عملين، وذلك بصفته يتبع قواعد، أو بالأحرى يُبنى على قواعد متفق عليها، وهذه القواعد تنتمي إلى المجال العلمي، ولابد على الناقد أن يسير وفقها حتى يتسنى له الوصول إلى نتائج تتسم بالدقة ولا يكون نقده عشوائيا أو ذاتيا، والجانب الآخر أنه يعالج قضايا أدبية فيها من الجانب الخيالي والعاطفي، وبذلك يمكن أن نقول: بأن النقد" **فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبي، وتحديد مكانتها في مسيرة الأدب والتعرف على مواطن الحسن والقبح مع التفسير والتعليل**" (ظلام، دت، صفحة ٦)، ومنه نجد أهل الاختصاص يصنفون النقد ضمن الفنون التي تهتم بشكل خاص بالأدب، لأن الاهتمام بالنص الأدبي يمكّن الناقد من تحديد اتجاه هذا النص تحديدا مضبوطا وكذلك يحدد المكانة التي يحظى بها هذا النص في المجال الأدبي للكشف عن أسراره وخباياه لتمييز الجيد من الرديء والصالح من الفاسد والجميل من القبيح، والنافع من الضار، وتفسير ذلك لإظهار القيمة الأدبية لهذا النص مع البرهنة والتأكد من الصحة والخطأ وتقديم الدليل والبرهان على الصحة أو الخطأ.

كما أنّ النقد لا يمكن ببساطة أنّ يتعلمه الفرد ولكنه يبقى موهبة خاصة " **فالذي لم يخلقه إليه بموهبة الناقد لا يمكن أنّ يصير ناقدا على الإطلاق**" (الرّبيعي، دت، صفحة ٢١)، ليبقى النقد عند الدارسين إذا لم يكن موهبة ربانية مبثوثة في طبع الإنسان، فلا يمكن أنّ يصير الدارس ناقدا عن طريق التعلم، فقد يعزز قدرته الفكرية، ولكن لا يمكن بأن يكون ناقدا حقيقيا إذا لم يكن موهوبا بالفطرة، وذلك فهو فن إبداعي لأنه يمارس عمله على الأعمال الإبداعية بوجه الخصوص، وهذا ما حكم عليه بأنه فنّ دراسة النصوص، وتقويمها وجعلها صالحة ومفيدة.

فالناقد قد يعرف جودة العمل الأدبي أو رداءته من خلال الدراسة والفحص التّامّين لجميع جوانب هذا العمل ولا يمكن إصدار الأحكام النهائية إذا ركّز النّاقد على جانب بعينيه في النصّ الأدبي، فكل الجوانب متحدة، وبفضلها جميعا صار النصّ نصاّ، ويقول بن سلام الجمحي "**وللشّعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم به كسائر أصناف العلم والصناعات، ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتها بلون ولامس ... يعرفه الناقد عند المعاينة**" (الجمحي، ٢٠٠١، صفحة ٢٦)، فابن سلام في هذا القول: يبين بأنّ الشّعر مثله مثل بقية الصناعات الأخرى وكما يعرف المختص في المجال النقدي حقيقة القطع النقدية، والتمييز بين صالحها وفاسدها، فكذلك الناقد يميز بين الشعر القوي والضعيف وكل ذلك يتسنى له من بعد الدراسة والمعاينة، وكأن الناقد يتحول إلى طبيب حينما يكشف عن المريض ليعرف مرضه وعلته أو يصل إلى التأكد بأنه سليم من الأمراض، والطبيب لا يمكن له بأن يصدر

حكمه على الشخص قبل إجراء فحصه للتأكد النهائي من مرضه أو من سلامته، وقد يستطيع هذا الطبيب بخبرته معرفة المرض من قبل إجراء الفحص، لكن لا يمكن أن يبني ذلك على التخمين والاحتمال.

وهذا ما يستوجب على الناقد فعله الذي يبقى مرتكزا على أسس للوصول إلى نتائج تتسم بالدقة والنزاهة في التقويم والطرح ، ويقول:" أهل الاختصاص" **أن الأدب هو موضوع النقد وميدانه، فإذا كان الأدب بطبيعته ينزع إلى الحرية المطلقة والتجديد واكتشاف آفاق جديدة يخلق فيها، ويعبر عنها، فإن النقد على العكس من ذلك، إنه محافظ مقيد، يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية بقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة والضعف، والحسن والقبح وإصدار الأحكام عليها** " (المجيد، ٢٠١٣، صفحة ٢٦)، ونجد الأدب واسع الأفق بعيد المرامي والغايات يتجاوز الحدود باعتماده على عنصر الخيال والسباحة في المجهول، والبحث في اللاّمتوقع، وذلك بالخروج عن العادي والمألوف أما النقد فعمله البحث عن حقيقة هذا الخروج بغرض الترميم والتصحيح والبناء من جديد، فإذا كانت الأعمال الأدبية في حاجة الى ذلك، فالنقد هو الذي يخبرنا ويرشدنا إلى التصحيح والعمل وفق أطر واضحة لتقديم الأفضل والأجمل والأقوى من النصوص، لتكون بذلك أكثر ثراء، وأغزر دلالة وابعد معنى واعم نفعا.

II. النّقد الأدبي وتطوره عبر العصور:

١. النّقد الأدبي في العصر الجاهلي:

ارتبط النقد بالشعر، فحينما ظهر الشعر كان النقد ملازما له، سواء أكان النقد في مراحله الأولى بسيطا أو عميقا، أو كان ضعيفا أو قويا، وفي الحالتين هناك نقد موجود وكان له الفضل في تقويم النصوص ومساعدة الشعراء لمعرفتهم ومعرفة أعمالهم، وكذلك ما يعتري أعمالهم من نقائص وهفوات وخاصة في جانب الشعرية، وبذلك يقومونها ويهذبونها ويصلحون حتى يتمكن الشاعر من كتابة الأفضل والأجود، ويؤكد الدارسون على أنّ النقد معاصر للعمل الإبداعي، وبالخصوص فهو:"... **ارتبط بالشعر في نشأته، ومعلوماتنا عن النهج الأول لا تتجاوز المائة والخمسين عاما التي سبقت ظهور الإسلام**" (نصر، دت، صفحة ٢٠).

وهم بذلك يؤرخون أو يحددون تاريخ ظهور النقد المرتبط بتاريخ ظهور الشعر وهذا للأهمية الكبيرة التي يكتسيها النقد، وهي لم تظهر لأن الاهتمام كان منصبا على الشعر ودون النظر إلى من كان سببا في تجليه وظهوره على الشاكلة التي هو عليها، وكان النقد في العصر الجاهلي مبنيا على الانطباع الخاص الذي يكون الذوق الفردي للناقد هو المعيار الوحيد لإطلاق الأحكام، وكانت في جلها لا تناقش، فتقبل مباشرة ويكون الحكم نهائيا، وهذا ما حدث مع أم جندب حينما فضلت شعر علقمة الفحل على شعر زوجها امرئ القيس، فلم يعجب هذا الحكم زوجها ورأى بأنه

جائر في حقه وحق شعره ليطلقها، ويتزوجها علقمة، وسمى بذلك بالفحل، لأن حكمها اعجب المتتبعين حين ذاك ،وكذلك نجد النابغة الذبياني الذي قال: في أحكامه على شعر الخنساء بأنها أفضل بنات جنسها في ذاك الوقت، ونقد بيتا لحسان بن ثابت، ولم يعجبه فغضب حسان ولم يرضه حكم النابغة لأنه رأى بأنه قد ظلمه، ولكن الحكم يبقى ساري المفعول إلى أن اتى "قدّامة ابن جعفر" واستحسن بيت حسان بن ثابت، ونقد كلام النابغة.

وفي العموم كان النقد في العصر الجاهلي غير مبني على قواعد ثابتة متفق عليها، وإنما كان عبارة عن وجهات نظر تطلق من طرف الناقد في حينها وإن كان النقص يعتريها لكنها تبقى هي الأحكام الحقيقية في نظر المتتبعين والمهتمين، وكذلك عند الشعراء المنقودين فمنهم من يرفض وجهات النظر، لكن لا يمكن أن يغير هذه الأحكام النقدية لتبقى سارية المفعول في ذلك العصر بالتحديد.

٢. النّقد في صدر الإسلام:

ونجد أن الإسلام لم ينه عن قول الشعر، وإنما هذّب فيه واستحسن الشعر الذي يدعّم الدعوة الإسلامية ويساير الحق، ويقف ضد الباطل ويعمل على دحضه، ويقول: رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعر:" **إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه**" (القيرواني، ١٩٨٣، صفحة ١٥، ج١)، وهذا هو الكلام الأصلي والصحيح، فلا فائدة فعلا من الأشعار التي تعمل على نشر التفرقة، وتميل إلى العصبية والتفرقة وإنما الشعر الحقيقي والصائب هو الذي يدعو إلى التكافل وحب الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي يعلي الهمم ويشجع على قول كلمة الحق، والمساواة بين أفراد المجتمع، لأن الشعر فيه الفاسد والصحيح وهذا ما نجده واضحا وصحيحا وصريحا في هذا القول:" **انما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب**" (القيرواني، ١٩٨٣، صفحة ١٥)، ونجد الإسلام والمسلمين عملوا على تدعيم الأقوال الطيبة ونشرها والعمل بما جاء فيها، وتطبيقها وذلك بالعمل بكل المعاني المتضمنة فيها، وهذا لنشر التعاليم التي جاء بها الإسلام ودعا إليه وعمل على ترسيخها بالقول والعمل.

كما أن القرآن الكريم جاء فيه ما يثبت ويؤكد ذلك فنزلت سورة كاملة، وهي سورة "الشعراء" التي تبين بأن الشعراء يتكلمون أكثر مما يفعلون، وهذا يعتبر نقيصة في الإنسان الذي يحب أن تكون أقواله مطابقة لأفعاله حتى يحدث التوازن النفسي الخاص به وكذلك التوازن الفعلي:" **والشعراء يتبعهم الغاوون ألم ترى أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيرا، وانتصروا من بعدما ظلموا** " (سورة الشّعراء، الآيات: ٢٢٤– ٢٢٧)، فهذا هو الشعر السليم الحقيقي وهو متضمن في أقوال الشعراء الذين استثناهم القرآن الكريم، وهو الشعراء الذي تحلوا بالإيمان، ويعملون إلا بما فيه صلاح لأمتهم، وتجدهم لا

يتوانون عن ذكر خالقهم ذاكرين أفضاله ونعمه التي لا تحصى ولا تعد وهم الذين لا ينطقون إلا بالحق وبما أمر الله، فهم الذين يمتازون بالحكمة البليغة، فلا يظلمون ولا يهجون للمباهاة أو لإثبات الذات بغير سبب، وإنما تجدهم متصدين للظلم بكلمتهم الصادقة وبنواياهم الطاهرة، وبأعمالهم المشرفة والمشرقة التي تساند الإسلام دوما وأبدا.

وحين نذكر مثالا نجد شعر حسان بن ثابت دليلا على ذلك، والرسول صلى الله عليه وسلم، كان يشجع الشعر الذي يخدم الأمة الإسلامية ويكون عونا للمسلمين، فهو يرى بأن الشعر أشدّ فتكا من السلاح، لأنهم موجه غلى القلب مباشرة لتحبيط العزائم وقتل الهمم ونجد ذلك في حديثه حينما أمر حسان بن ثابت بأن يهجهم؛ لأن هجاءه أشد على الكفار من وقع السهام في الظلام الحالك، لأن السهم في الليل الحالك يكون طائشا فربما يصيب وربما لا يصيب، وإن أصاب فقد يصيب في الكتف أو في القدم، ولكن الهجاء الموجه من حسان بن ثابت موجه إلى القلب مباشرة.

٣. النّقد في العصر الأموي:

بقي النقد في العصر الأموي يميل إلى النزعة الذاتية وساده شيء من التذبذب الذي لم يمكنه من وضع قواعد خاصة به كفن له أسسه وقوانينه الخاصة، والتي تمكنه من ترقية النصوص الإبداعية؛ لأن الاهتمام بالمجال النقدي في تلك المرحلة لم يكن كافيا نظرا للأوضاع السياسية وتقلباتها التي سادت، وكان الشعر أوفر حظا من النقد لأن الشعراء " ... **كانت لهم في ميدان النقد جولات فنية موفقة** ..." (طبانة، ١٩٦٠، صفحة ٣٢٦)، وبهذا نقول: أن الشعر كان له وقع وأخذ مساحة من الاهتمام، فكُتبت في هذه الفترة قصائد ذات مستوى عال من الجودة وقد يكون السبب في ذلك التنافس الداخلي بين الشعراء برغم أن النقد بقي متقوقعا في النظرة الذاتية التي لم تحرجه من سيطرة الأنا، والابتعاد عن الموضوعية في إصدار الأحكام النقدية، والتي يغلب عليها"... **الميل إلى التعميم** ... **مع قليل من الموضوعية الجزئية**... " (طبانة، ١٩٦٠، صفحة ٣٢٦).

وهذا كان ضد التيار النقدي، والذي كان يجدر به أن يجد الطريق المناسب والرقي بالآراء الخاصة والذاتية وجعلها أراء عامة تعمل على الإنارة وتعطي الدعم الكامل للمبدع ليتخطى مراحله الأولى على الأقل، ويكون دافعا للتطور أكثر.

٤. النّقد في العصر العباسي:

شهد النقد في القرن الثالث والرابع الهجري نقلة نوعية في المجال الأدبي (الشعر والنقد)، وكانت المنافسة على أشدها بين أنصار القدم، وأنصار التجديد وهذا التنافس قفز بالحركة الأدبية والنقدية إلى التطور والإبداع، فحدث وتكوّن نضج فكري ووعي كامل بأهمية الكتابة الإبداعية، وازدهرت الحركة الأدبية وخاصة عند الطبقة التي جنحت

إلى الوسطية وكان هذا الجنوح إلى الوسطية اعتدالا في حدّ ذاته، حيث استفادوا من القدماء، ومن العصور التي سبقت، ودعموا حركة التجديد فكان لهم النصيب الأوفر من الزاد الفكري والمعرفي، وتجلى هذا مع بداية القرن الرابع الهجري.

وكان الجاحظ وابن قتيبة وغيرهم منارة في سماء الدراسات النقدية، ليستفيد كل دارس أو ناقد ناشئ أو كبير من دراساتهم وكتبهم القيمة، والتي لازالت لحدّ الآن المنبع الذي نستفيد منه نحن لحدّ الآن، ويبقى هذا المورد ينبع بخيراته العميمة، والنقد في هذا القرن اعتمد بشكل كبير على الاتزان والمرونة، فكان " ... **معتمدا على الذوق الأدبي السليم مؤسسا بمناحي العلم في الصورة والشكل** ..." (عتيق، دت، صفحة ١٤١)، واعتمد النقاد واهتموا بالعديد من المجالات منها المقارنات الجادة بين الشعراء، ومن النقاد الذين برز دورهم الفعال.

نجد قدامة بن جعفر الذي كان له رأي خاص، وذلك بمراجعة وإعادة النظر في الأقوال النقدية السابقة، وخاصة التي كانت في العصر الجاهلي حينما تعرض لنقد النابغة الذبياني الموجه لبيت حسان بن ثابت ليثبت أن ذاك البيت كله سليم في مبناه ومعناه، وبذلك فند بالدليل القاطع نقد النابغة الذبياني، ومن بين الملاحظات التي فنّدها (أن اللمعان بالنهار هو الأصح، وهكذا عكس ما قاله النابغة بأن اللمعان في الليل أنسب)، ويؤكد ويبين قدامة بن جعفر بأن معظم الأشياء تلمع في الليل أما الذي يلمع في النهار فلا يكون إلا متميزا فعلا ومتفردا، وهذا وجهة نظر صحيحة تماما.

ويؤكد الدارسون على أن النقد في هذه الفترة أصبح فعلا متميزا بشكل ملفت" ...**بحيث أصبح قادرا على مسايرة الحياة العقلية والنشاط الفكري في تلك الفترة الزاخرة** ..." (الصالحة، ٢٠٠٩، صفحة ٤٥)، وما زاد للحياة العقلية والنشاط الفكري تطورا هو التنافس الذي حدث وظهر بشكل جلي بين الشعراء والأدباء الذين كانوا يتنافسون على جودة الكلمة وتقديم أفضل وأجود القصائد أمام الأمراء والملوك، ورغم أن الدافع يميل إلى التكسب إلا أن ذلك لم يمنع الإبداع من النمو والرقي والازدهار، وهذا ما مكّن النقاد من التأليف الجاد ويأتي المنتوج زاخرا بأنواع الكتب والدراسات المتنوعة في "النقد والأدب والفلسفة" بالأخص ، وذلك مثل: نقد الشعر لقدامة بن جعفر، وعيار الشعر لابن طباطبة والموازنة للآمدي والبيان والتبيين للجاحظ، وطبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، وكذلك أسرار البلاغة للجرجاني والعمدة لابن رشيف ، ومقدمة ابن خلدون وغيرها من الكتب الثمينة التي يطول المجال للإحاطة بها، وما ذكر هو على سبيل التمثيل لا الحصر.

كما اعتمد من أتى بعدهم على هذه الكتب العديدة في تأليف كتب أخرى جديدة لأنهم وجدوا فيها الزاد والمعنى والسند الذي مكنهم من الإبداع النقدي؛ ولأنها غنية بالكنوز المعرفية لذلك نلجأ إليها لنجعل منها سندا قويما لنا.

الخاتمة:

وبعد التنقل بين مفهوم النقد ومراحل تطوره، ومحاولة السباحة وبالأخص في شواطيء المفهوم الذي ى وجدنا أن من الصعوبة رسم مفهوم جامع ومحدد لعبارة نقد، لتبقى جل التعريفات هي محاولات للتقرب فقط، وكذلك التنقل عبر مراحل تطوره وبعد ذلك توصلنا إلى بعض النتائج وهي كالتالي:

١ـ إن الذوق يعتبر حاسة معنوية لها اتجاهان إما الانبساط أو الانقباض، والعمل الأدبي الجيد فعلا يجعل جل الأذواق إن لم نقل كلها في حالة انبساط تام، لأن العمل الأدبي الجيد يعبّر عن ذاته، ويكون قادرا على المساهمة في تحويل الدارس الجاد إلى ناقد كبير.

٢ـ إن النقد يظل ابن رافدين اثنين وهما: الصنعة أو السجية والفطرة، وكذلك الاستمرار والممارسة النقدية الفعلية التواصلية مع تنويع الأجناس الأدبية في الطرح والتناول.

٣ـ لا تقتصر مهمة الناقد على إصدار عبارات مفادها أن هذا العمل جيد أو رديء، وإنما مهامه تتعدى ذلك للوصول إلى تفسير الجمال، وتفسير طريقة تكوينه، وبذلك يمكن للناقد بعد ذلك اقتحام حدود الحياة بأسرها، والغوص بين ثناياها والكشف عن المزيف فيها لتعرية الشر والظلم، وإيجاد حلول مناسبة للقضاء عليهما، وذلك بإحياء تعاليم الخير.

٤ـ من مهام النقد الجليلة هو تعيين المكانة الحقيقية لأي صنف أدبي، وجعله في مسار الأدب، والعمل على تحديده وذلك بإضافته إلى التراث الأدبي مع لغته الأصيلة والأصلية، وبعد ذلك العمل على قياس مدى التأثر الاجتماعي به والتأثير فيه، كما يعمل على تصوير السمات الحقيقية لصاحب العمل مع إبراز العوامل الشعورية والتعبيرية، وكذلك محاولة الكشف والبحث في العوامل النفسية ومدى توافقها وانسجامها مع العوامل الخارجية التي سعت جميعا في إنشائه.

٥ـ يعود تطور النقد الأدبي إلى عاملين أساسيين ـ من وجهة نظرنا المتواضعة ـ، وهما: أن جل المبدعين وخاصة الشعراء منهم يتقبلون ما يوجه إليهم من ملاحظات دونما النظر إلى نوايا الناقد، والعامل الثاني: أن النقد كان في جل مراحله تقريبا موضوعيا، وهذا ما ساعد في تطور الحركة الأدبية والنقدية على حد السواء.

قائمة المراجع:

١- أحمد أمين. (١٩٦٧). *النّقد الأدبي*. بيروت، لبنان: دار الكتاب الغربي.
٢- أحمد حسن الزّيات. (١٩٦٧). *دفاع عن البلاغة*.
٣- بدوي طبانة. (١٩٦٠). *دراسات في نقد الأدب الغربي*. القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو مصرية.
٤- بشرى عبد المجيد. (٢٠١٣). *النّقد الأدبي في تقويم النقاد المحدثين*. مراكش، المغرب: مؤسسة آفاق للدّراسات والنّشر.
٥- داود غطاشة الشّوابكة، محمد أحمد الصالحة. (٢٠٠٩). *النّقد العربي القديم حتى نهاية القرن الخامس الهجري*. عمان، الأردن: دار الفكر.
٦-ابن رشيق القيرواني. (١٩٨٣). *العمدة*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية .
٧-ابن سلام الجمحي. (٢٠٠١). *طبقات الشّعراء*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
٨- سيّد قطب. (٢٠٠٣). *النّقد الأدبي الحديث: أصوله ومناهجه*. القاهرة، مصر: دار الشّروق.
٩-عبد العزيز عتيق. (دت). *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*. بيروت، لبنان: دار النهضة العربيذة للطّباعة والنشر.
١٠-عمر بن زايد. (١٩٨٥). *النّقد الأدبي الجزائري*. الجزائر: المؤسسة الوطنيّة للكتاب.
١١-محمد إبراهيم نصر. (دت). *النقد الأدبي في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام*. دب: دار الفكر الغربي.
١٢-محمد الرّبيعي. (دت). *قراءة الشّعر*. دب: دار غريب للطّباعة والنّشر.
١٣-محمّد ظلام. (دت). *النّقد الأدبي*. دب: مطبعة الأمانة.
١٤-مصطفى عبد الرحمان إبراهيم. (١٩٩٨). *في النقد الأدبي القديم عند العرب*. القاهرة، مصر: دار مكة للطباعة.